DOI:10.18018/URUK/020-13/390-410 ISSN : 2072-6317(P) - 2572-5440(O)

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية
مجلة اوروك للعلوم الانسانية
موقع المجلة : www.muthuruk.com

BM-Publisher

اتجاهات في الاعجاز مقاربة نقدية

ليث داود سلمان*
جامعة البصرة / كلية الآداب

معلومات المقالة

تاريخ المقالة:
الاستلام: 2018/5/19
تاريخ التعديل : 2018/5/22
قبول النشر: 2018 /5/24
متوفر على النت:2020/3/9

الكلمات المفتاحية :
الاعجاز
مقاربة نقدية

الملخص

الاعجاز مطلب عقدي يقوم على مشخصات ثلاثة: طلب التحدي، وخرق العادة، والسلامة من المعارضة؛ فلا يمكن قراءته في ضوء الاستحسانات ولا مقاربته في ضوء الذّوقيات، حتى لا نتجاوز اطار المفهوم ونغور في ميادين نحسبها مِن الاعجاز وهي خارج نطاقه، وقد عُبِّئتْ منظومتنا الإسلامية بالكثير من الفرضيات التي تبعدنا من حياض العلم وميادين المعرفة،ومنها الاتجاهات المتعددة في تعاطي الاعجاز

© جميع الحقوق محفوظة لدى جامعة المثنى 2020

المقدمة

في ظل التوسع الَّذِي شهده البحث فِي الإعجاز، ولا سيما فِي العصر الحديث، ظهرت مسميات جديدة تروم معاينة الإعجاز من جهات مستقلة، وتبتغي قراءته من لِحَاظات جزئية، ظناً مِنْهَا أنّ التبعيض فِي التعاطي والنظر يزيد من انفتاح فكرة التحدي وانبساطها فِي كل شعب المعرفة وميادين الفنون.

ومن هذه الاتجاهات:

1. **الاتجاه العلمي في الإعجاز:**

استعمل هَذَا الاتجاه فِي أقلام العلماء والدارسين، وحُرّرت مطالبه،واستخرجت شواهده، وهم يريدون به أحد أمرين، أشار إِلَى الأوّل منه جملة من المتقدمين، وكثير من المحدثين، وهو العلوم والمعارف، الَّتِي أودعت فِي الْقُرْآن، سواء أكانت عَلَى مستوى التوحيد والعقائد أم عَلَى مستوى التشريع والقيم، والنظام المدني والقانوني، أي سواء أكانت الحيثية فيه ناظرة إِلَى علاقة الإنسان بأخيه أم كانت منبثقة من علاقة الإنسان بالكون والطبيعة ممّا ينتج له الرؤية الكونية.

وقد ذكر الطاهر بن عاشور أنّ العلم نوعان:اصطلاحي وحقيقي،الأول:ما تواضع الناس فِي عصر من الأعصار عَلَى أنّ صاحبه يُعدّ فِي سنن العلماء.

*الناشر الرئيسي : E-mail : laith@gmail. Com

والعلم الحقيقي هُوَ معرفة ما بمعرفته كمال الإنسان، وما به يبلغ ذروة المعارف وإدراك الحقائق النافعة.

الثانيعنده نوعان، الأوّل يكفي لإدراكه فهمه وسمعه، والثاني يحتاج إدراك وجه إعجازه إِلَى العلم بقواعد العلوم، فينبلج للناس شيئاً فشيئاً انبلاج أضواء الفجر عَلَى حسب مبالغ الفهم وتطور العلوم[1].

أمّا الثاني، فيتوخى البحث فِي غير مجال العلوم الإنسانية، الَّتِي كانت مهيمنة عَلَى مفاتيح المعرفة، ومنتجات الثقافة، فقد شهد العصر الحديث الصحوة المعرفية، واليقظة التقنية فِي مجال العلوم التجريبية، والصناعات المتقدمة، حتى غدا النسق المستحوذ فِي تحريك عجلة الحياة وبناء مفاصلها.

إنّ هذه الثورة التنويرية ألقت بظلالها عَلَى الباحثين والدارسين، فأنتجت نجاعتها فِي زعزعة أفق التفكير وقلقلة منظومة التأمل، الَّتِي بنيت على مرجعيات ذهنية بحتة، وآليات عقلية مجردة بعيدة من ملامسة التجربة والتفاعل بالواقع المادي، والتي كانت تصقلها الثقافة الإسلامية، فنزح لذلك كثير من الباحثين للاطّلاع عَلَى ما أنتجه الغرب فِي ميدان التطور العلمي والتقدم التكنلوجي، والازدهار العمراني، وما قننته أبحاثهم، ودققته مطالبهم فِي الميادين العلمية المتعددة كالكيمياء والفيزياء والفلك والطب وعلم الأحياء وعلم الجيولوجيا وغيرها. وهم فِي كل ذَلِكَ يتوخون الإحكام فِي التنقير وإتقان الملاحظة فِي التجربة، وتوثيق المهارة فِي استخلاص النتيجة.

فكان هَذَا الطريق مناراً، فتق للباحثين المسلمين أجواء البحث العلمي الجديد، والمنهج الاكاديمي الرشيد، فساروا عَلَى خطاه، مقتفين آثاره ومعطياته. ولأنّهم أصحاب معتقدات دينية، ومبتنيات إسلامية، جبلت علها عواطفهم، وعقصت لديها مدافنهم، وقعوا أسرى بين القديم التليد والحديث الجديد، فكانت أدواتهم طريفة فِي التعاطي، ولكن طريقتهم فِي الوصول عتيقة، لذلك وجد الإعجاز العلمي، الَّذِي تعالت صيحاته فِي العصر الحديث، متنفسه عِنْدَ هؤلاء الباحثين، وقد كان نظرهم إِلَى تِلْكَ المباني العلمية بعين الطابع القدسي، والموجّه العقدي، الَّذِي يُملي عليهم التساوق وعدم التنكر، وفي ضوء ذَلِكَ نجد أنّ الإفرازات العلمية الحديثة - عندهم – لا تتجاوز الْقُرْآن، ولا تتخطى عتبته؛ لأنّ فيها تبياناً لكل شيء... وأنّ كل ما جادت به يد الحضارة، له أسس ومبان قرآنية مطوية داخل النص....

قد كان الإعجاز العلمي لديهم رهيناً بتِلْكَ الإشارات الْقُرْآنية، واللمحات التعبيرية الَّتِي تتضمن الحديث عَن الآيات الأفاقيةوالأنفسية، أو مظاهر الطبيعة والتكوين.

فكان الباحث منهم يعمد إِلَى الربط بين الحقائق الَّتِي تفتقت فِي إنجازات الحضارة الغربية، وبعض الآيات الْقُرْآنية، فحمل أصحاب هَذَا الاتجاه تِلْكَ الآيات عَلَى الإعجاز العلمي، أو إنّهم يفيدون من تِلْكَ المعطيات المعاصرة فِي توجيه بعض الآيات الْقُرْآنية وتأويلها، سواء كانت نصاً فِي الحقيقة، أم ظاهرة من اعتمال أدوات التأويل. وقد وقف نظري عَلَى جملة من تِلْكَ المشاريع المصنفة فِي مجال البحث:

- الإعجاز العلمي لمفاهيم الْقُرْآن الكريم — الشيخ عبد الله الغديري.
- البيان فِي الإعجاز العلمي فِي الْقُرْآن. — د. لطيف أحمد عبود.
- الإعجاز العلمي فِي الْقُرْآن الكريم — د. حميد النجدي.
- موسوعة الإعجاز العلمي فِي الْقُرْآن والسنة المطهرة — أحمد يوسف الحاج.
- الإعجاز العلمي فِي الْقُرْآن الكريم — عبدالسلام حمدان
- الإعجاز العلمي فِي الْقُرْآن — د. زغلول النجار.
- من آيات الإعجاز العلمي — د. زغلول النجار
- نماذج من الإعجاز العلمي — د. أحمد عبدالسلامالكرداني
- الإعجاز العلمي فِي الْقُرْآن برهان النبوة — المهندس رائف يوسف نجم
- الْقُرْآن وإعجازه العلمي — محمد إسماعيل إبراهيم
- الإعجاز العلمي — د. لبيب بيضون.

DOI:10.18018/URUK/020-13/390-410

- الْقُرْآن وإعجازه العلمي — محمد إسماعيل إبراهيم
- الْقُرْآن والعلم الحديث — عبدالرزاق نوفل
- موسوعة الإعجاز العلمي — محمد راتب النابلسي

وقد كان للدكتور محمد الصادق كتاب بعنوان: «علم السنن الإلهية الإعجاز الْقُرْآني فِي الكون والخلق والعلم»، ينحو فيه باتجاه آخر، إذ هُوَ إعجاز قرآني فِي العلم، لا إعجاز علمي فِي الْقُرْآن، وشتان بين الاثنين «فالإعجاز العلمي فِي الْقُرْآن تصاعدي المنهج (Demarche ascendante) بمعنى إنّه ينطلق من النظرية العلمية ليصل إِلَى الحقيقة الْقُرْآنية.

في حين أنّ النظرية العلمية ظنية، ونسبية، والحقيقة الْقُرْآنية ثابتة، يقينية، لا تتحول ولا تتبدل.

بينما الإعجاز الْقُرْآني فِي العلم تنازلي المنهج (Demarche descendante) بمعنى إنّه ينطلق من النظرة الْقُرْآنية الاستشرافية، ومن السنة الإلهية المبثوثة فِي الْقُرْآن فهماً وتدبراً، ليصوغ من خلالها قوانين ويبني أطروحات،وافق ذَلِكَ النظريات العلمية الحديثة أو خالفها»[2].

وأحسبُ أنّ الباحث لم يكن أميناً فيما ادّعاه، فقد أفاد كثيراً من نظريات العلم الحديث ومعطيات المعاصرة فِي توجيه الآيات، وتخريج السنن، وكان الحري به إنْ أراد التفريق بين المسلكين أنْ يجعل الْقُرْآن يتكلم وحده بمعية الشريعة فِي صناعة الانموذج العلمي، لا أنْ ينهل من منابع المعرفة والتقنيات الجديدة فِي الفهم والتأويل.

وقد كان نصيب الأبحاث فِي هَذَا الاتجاه ثرياً أيضاً منها:

- الْقُرْآن والإعجاز العلمي. — د. عبد الستار حامد
- الإسلام والعلم وإعجاز الْقُرْآن. — د. عبدالعزيز الخياط.
- الإعجاز العلمي للقرآن بين الظن والتحقيق. — د. عبدالجليل عبدالرحيم

وقد كان للباحث الأخير آراء سديدة فِي نقد كثير من مظاهر الإعجاز العلمي، وهي ـــ عنده ـــ لا تعدو أنْ تكون تفسيراً علمياً للآية أو تأويلاً يستوعب اتجاهاته ومبتنياته.

ولكن الباحث لم يسلم قوله من التهافت؛ لأنّه بنى الفكرة عَلَى التحديد الاصطلاحي العام

«الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدي، السالم من المعارضة»[3]،

وهذا يوجب أنْ تكون ثمة عادة، قد جاء الْقُرْآن لخرقها، وليس فِي وسع أحد أنْ يعارضها.

ولا يخفى عَلَى اللبيب، ولا يغيب عَن الأديب أنّ ليس هناك عادة فيما ادّعاه، ولم يقترن بها أيّ تحدّ، وكل ما جاء به الباحث أنّه أحال عَلَى بعض خصائص الْقُرْآن الَّتِي لا يمكن أنْ تلتقي مَعَ مفهوم الإعجاز إلاّ فِي المؤدى الأخير الكاشف عَن صحة المدى.

إنّ المصنّف يتحدّث عَن الْقُرْآن، وكأنّه موسوعة علمية لكل شعب المعرفة، واتجاهات الفنون، ينهل مِنْهَا أولو الألباب، وأصحاب النهى، غافلاً عَن الغرض الأساسي منه

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ إبراهيم: 1

وقوله: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ البقرة:2

وقوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ الحديد:9

وقد عمل الباحث وكده فِي الردّ عَلَى من قال: إنّ المعجزة تضارع جنس ما نبغ فيه قوم النبي، متخذاً من بساط سليمان النبي«عليه السلام»، وتسخير الجنّ والطير له تمثيلاً لما يناقض هَذَا الادعاء.

وفي إسالة عين القطر، وتسخير الجبال للنبي داوود«عليه السلام» ما يردّ ذَلِكَ الادّعاء أيضاً، وكذا الإحراق للنبي إبراهيم«عليه السلام»، ورفع الطور لسيدنا موسى، وإنزال المائدة لسيدنا عيسى، وإخراج الناقة لصالح، والسفينة لسيدنا نوح، وانشقاق القمر لسيدنا محمد[4].

وفي مقام الردّ أقول:

1. إنّ ما ادّعاه الدكتور من معجزات تنافي ما حرره من المعنى الاصطلاحي، والشروط الواجب توفرها

DOI:10.18018/URUK/020-13/390-410

فِي المعجزة، لذا لا يمكن أنْ نعدّ هذه من المعجزات استناداً إِلَى التحديد، ولكن يمكن أنْ ندخلها فِي منطقة الإمداد الغيبي والكرامات الإلهية.

2. إنّ المواهب الممنوحة للأنبياء والفيوضات الَّتِي ترافق مسير الدعوة، لا يشترط فيها أنْ تختص بهم، بل يمكن أنْ تجري عَلَى أيدي الصالحين، كما فِي قصة مريم«ϑ» وقصة العبد الصالح، وأصحاب الكهف، وقد أفرز لنا التراث الإسلامي الكثير من هَذَا فيما يخصّ الأولياء والمتقين والصالحين.

3. إنّ خرق العادة متحققة للإنس والجنّ، وليس كذلك ما أعطي للنبي سليمان«عليه السلام»،فإنّ آصف بن برخيا وعفريت الجنّ يشتركان فِي بعض تِلْكَ المظاهر ممّا أفصح عنها الْقُرْآن

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنْ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ(39) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنْ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ(40)﴾ النمل:39-40

وفي هَذَا تصحيح لمّا ذكره الدكتور.

4. إنّ وجود المسانخة بين المعجزة وفنون العصر أمر لا بُدّ منه فِي تحقيق الفوت وإثبات العجز، إذ هُوَ أبلغ فِي الإقرار، وأنجع فِي الاستقبال، فالعجز إنّما يتحقق بعد تهيئة الفرصة، وإتاحة الجهد للممارسة، وإفراغ الوسع فِي التدريب، فإنْ كان الأمر ليس من شأنهم، ولا من طريق صنعتهم، فلا يقال فيه أعجزهم بعد طلب التحدي والدعوة إِلَى المغالبة.

نعم، هي من أعلام نبوتهم، وحجج دعوتهم المؤكدة صحة طريقهم، ويقين مسلكهم، ولكنها ليست من الإعجاز الاصطلاحي الذي أفرزته الثقافة الإسلامية.

ثم إنّ الإعجاز العلمي بسط ظلاله بعيداً؛ ليتناول تحت مظلته فروعاً عديدة، كالإعجاز الطبي، والإعجاز فِي الكيمياء والإعجاز فِي الفلك والإعجاز فِي الجيولوجيا وهي كثيرة جداً.

وكنت مذ أمدّ لا أفهم البعد الحقيقي للإعجاز العلمي من جهة التحديد الاصطلاحي، أهو من وجوه الإعجاز الَّتِي تنتمي إِلَى دوحة الأصل، أم فرع استقل، له مفهومه ومنطوقه؟.

فهذا الدكتور زغلول النجار يتحدث عَن الإعجاز العلمي بقوله: هُوَ«موقف من مواقف التحدي الَّذِي نريد أنْ نثبت للناس كافة ان هَذَا الْقُرْآن الَّذِي أنزل قبل ألف وأربعمائة سنة عَلَى النبي الأمّي«2» فِي أمة كان غالبتها الساحقة من الامّيين يحوي من حقائق هَذَا الكون مالم يستطع العلماء إدراكه إلاّ منذ عشرات قليلة من السنين»[5].

وقد عرّفه الدكتور راغب السرجاني بقوله: «المقصود بذلك اشتمال الْقُرْآن الكريم عَلَى ألوان من القواعد العلمية والتطبيقية الَّتِي تحيّر كثير من العلماء فِي وجودها واكتشافها»[6].

وقيل:«هو إخبار الْقُرْآن أو السنة النبوية بحقيقية، أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية فِي زمن الرسول محمد«2» مما يظهر صدقه فيما أخبر عَن ربه.

فالإعجاز العلمي يقصد به سبقه بالإشارة إِلَى عدد من حقائق الكون وظواهره الَّتِي لم تتمكن العلوم المكتسبة من الوصول إِلَى فهم شيء مِنْهَا إلاّ بعد قرون متطاولة من تنزيل الْقُرْآن»[7].

وقال الدكتور لطيف أحمد عبود:«الإعجاز العلمي ما هُوَ إلاّ تِلْكَم الآيات البيّنات والدلائل الواضحات من كتاب الله تعالى والإشارات الخفية اللطيفة الَّتِي تشرح بعض حقائق الكون، وتكشف القوانين العلمية، وتزيح الستار

DOI:10.18018/URUK/020-13/390-410

عَن بعض المعارف والبراهين العلمية الساطعة فِي مختلف مجالات العلم والمعرفة من طب وفلك وكيمياء وجغرافية وما إليها من أنواع العلوم»[8].

هذه تحديدات اصطلاحية للإعجاز العلمي عِنْدَ بعض ممن أتى عَلَى توضيح المفهوم، وتحديد إطاره المعرفي، ولكنها لا تقِلّ فِي متوالية التسلسل المنطقي لدراسات الإعجاز، وليست وجهاً، تشظى ميدانه بالمعرفة، واتسع مجاله بالنظر والتحديد.

فالمفهوم، هنا، ليس من شعب الإعجاز الاصطلاحي، ولا يمكن أنْ يلتقي معه بالمقررات؛ إذ لا تحدي فيه، ولا يقتضي المعارضة، وليس ممّا يخرق العادة؛ لاعترافهم بإمكانها ووقوعها بعد زمن بعيد عَن التنزيل.

والذي يبدو للقارئ أنّ الإعجاز صفة ذوقية مشبعة بطاقات ادّعائية فضفاضة، هدفها الإنجاع والإقناع، أخذت مساحة عريضة من التجوز؛ لكي تظهر علّتها الادّعائية فِي الحجاج والبرهان؛ لأنّ المفهوم فِي الأصل قد حمل معه بصمات الشحن الدلالية، ومعطيات الصدق الإثباتية فِي حركته الثقافية المنتجة عَلَى امتداد البحث العقدي والبياني. فما كان من هؤلاء إلاّ أنْ استعاروا المفهوم الأزلي؛ ليكون لهم هوية فِي تقرير مطالبهم، وتعزيز مقاصدهم.

ولكن ليعلم المتلقي أنّ بين الإعجازين بوناً شاسعاً من التحديد، ومسيراً مديداً من المفارقة. إنّه مفهوم يتنكر للأصل الاصطلاحي، ويتزحزح عَن مبتناه، متخذاً من بعض الإشارات الْقُرْآنية الدالة عَلَى التفكر فِي الآيات الآفاقيةوالأنفسية ميداناً خصباً لبلورة الفكرة وتشعب فروعها.

وقد أعانهم عَلَى ذَلِكَ المنجزات المتقدمة الَّتِي وضعها العلم الحديث بين يدي الإنسان فِي مفردات الكون والفلك والجيولوجيا والطب والكيمياء والفيزياء وغيرها.

أقول: لا محيصَ أنّها من الدلائل العالية والبراهين النامية الكاشفة عَن صدق النسبة وصحّة المدعى.. فهو بيان بليغ عميق، يحرك فِي النفس عمق الإيمان، ويثير فيها مشاعر العظمة والإجلال لهذا الصنع اللطيف والإحكام الظريف الَّذِي يدّل بصدق عَلَى إثبات الصانع وجسيم قدرته.

وممن كان لهم السبق فِي الإشارة إِلَى هَذَا الكون الجامع والإثبات الساطع فِي أنّ علوم الكون كلها منبثقة من الْقُرْآن، الغزالي فِي الفصل الخامس من كتابه جواهر الْقُرْآن، تحت عنوان: «في انشعاب سائر العلوم من الْقُرْآن»[9].

ولكن لم يكن حديث المؤلف فِي هَذَا الكتاب عَن الإعجاز العلمي، خلافاً لما ادّعاه الدكتور حسين نصار فِي كتابه الإعجاز العلمي، والدكتور شوقي ضيف فِي معجزات الْقُرْآن[10].

وقد كان حديث الرازي فِي الإعجاز بيّناً فِي مفاتيحه ونهايته، ولم يقترب إِلَى تِلْكَ الدعوة الَّتِي تعلي من شأن الإعجاز العلمي بحسب ما نظر إليه المحدثون.

وما ادّعاه حسين نصار والدكتور شوقي ضيف ليس فِي محله[11].

وجنوحه إِلَى التوجيه العلمي فِي بيان دلائل القدرة وآيات التكوين لا يعني تبني جهة الإعجاز العلمي، لاختلاف النظر وتباين المسلك.

وممّا قاله أصحاب هَذَا الاتجاه فِي نماذجهم المقترحة:

1. الطب الوقائي:

- تحريم الميتة ولحم الخنزير وغيرهما من المحرمات:

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلاَمَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، المائدة:3

ثم يذكر لطيف أحمد عبود حكم هذه المحرمات الثلاث الميتة والدم ولحم الخنزير عَلَى النحو الآتي:

DOI:10.18018/URUK/020-13/390-410

1. إنّ الطبع السليم يعافها ويستقذرها، والعقلاء يعدّون أكلها مهانة، تنافي كرامة الإنسان.
2. إنّ الَّذِي يموت حتف أنفه، يغلب عليه أنْ يكون موته لمرض أو علة، وهذا لا يؤمن ضرره.
3. إنّ الله وهو يحرم الميتة علينا، يجعل ذَلِكَ فسحة للحيوانات أنْ تتغذى عليها.
4. إنّ فِي ذَلِكَ التحريم، حثّ عَلَى العلاج، فلا يدع المجال للأمراض أنْ تستغل وتهدد الثروة الحيوانية.

وقال عَن الدم ما يقترب من ذلك. وفي علّة تحريم لحم الخنزير كونه يرتع من القاذورات، ويأكل النجاسات، وقد أثبت العلم الحديث أنّ أكله ضار[12].

ولا أرى أي سمة إعجازية فيما أورده الدكتور، ثم ما علاقة الحكم أو علل الشرائع بالإعجاز؟!

أتصور أنّ المصنّف أخلّ فِي تحديد المصطلح، وابتعد عَن مساحة اشتغاله، ما أوقعه فِي هفوات معرفية، يتنكر لها العقل، ولا يستسيغها المنطق.

- معجزة الشفتين.

يتحدث الأستاذ لبيب بيضون عَن وظائف الشفتين، وأثرها فِي إضفاء الجانب الجمالي والنطقي، فهما مَعَ اللسان والأسنان يتم صدور الحروف الهجائية المختلفة، ولنتصور ماذا يكون نطق شخص قطعت منه الشفتان؛ إنّه سيفقد القدرة عَلَى نطق الكثير من الحروف، ولا تظهر عنده بقية الحروف بالشكل الواضح الصحيح[13].

ولا أعلم وليتني كنت عالماً ما الَّذِي أوجد بدائع خلق الله وجميل صنعه فِي محل اشتغال الإعجاز؟! ثم إذا كانت الشفتان معجزتين، فلمن يكون التحدي، والسلامة من المعارضة؟ أللجنّ والحيوانات أنْ يأتوا بمثلها؟ أم ماذا؟!

ثم إنّ جلّ العلماء قرنوا المعجزة بالنبي«2»، لتقوم شاهدة عَلَى صدق دعواه، ولا أرى أنّ الرسول«2» يأتي بالشفتين؛ لتكون دليلاً عَلَى صدقه وصحة سفارته.

ولا أريد الإطالة فِي الحديث أكثر؛ لأنّ أصحاب هَذَا الاتجاه قد ابتعدوا عَن المنطق السليم فِي التعامل مَعَ المفاهيم الإسلامية، الَّتِي استقرت فِي دلالتها الاصطلاحية وعناصرها البنائية. فركبوا أمواج التحمس والاندفاع، واشتغلوا فِي منطقة الآيات والبراهين الكاشفة عَن عظمة الخالق وجميل نظمه وابداعه.

2. الاتجاه الصَّوتي فِي الإعجاز:

تحدث كثير من الباحثين والدارسين عَن هذه الجهة فِي تحرير فكرة الإعجاز، ومن أبرزهم الرافعي فِي إعجاز الْقُرْآن والبلاغة النبوية، فقد جعل لحروف الْقُرْآن نظماً خاصاً ووقعاً مؤثراً، لا نكاد نجده فِي غيره من المنثور والمنظوم لدى العرب، إذ قال:«وحسبك بهذا اعتباراً فِي إعجاز النظم الموسيقي فِي الْقُرْآن الكريم، وإنّه ممّا لا يتعلق به أحد، ولا ينفق عَلَى ذَلِكَ الوجه الَّذِي هُوَ فيه إلاّ فيه، لترتيب حروفه باعتبار من أصواتها ومخارجها، ومناسبة بعض ذَلِكَ لبعضه مناسبة طبيعية فِي الهمس والجهر، والشدة والرخاوة والتفخيم والترقيق، والتفشي والتكرير... ولقد كان هَذَا النظم عينه هُوَ الَّذِي صفّى طباع البلغاء بعد الإسلام، وتولى تربية الذوق الموسيقي اللغوي فيهم»[14].

وأشاد بالجانب الصَّوتي الدكتور عبدالله درّاز فِي كتابه النبأ العظيم قائلاً:«إنّ أوّل شيء أحسّته تِلْكَ الأذن العربية فِي نظم الْقُرْآن هُوَ ذَلِكَ النظام الصوتي البديع..»[15].

وقال أيضاً:«أوّل ما يلاقيك ويستدعي أنتباهك من أسلوب الْقُرْآن الكريم خاصية تأليفه الصوتي فِي شكله وجوهره..»[16].

وللدكتور صبحي الصالح إسهام فِي ذلك، فقد تحدث عَن الإعجاز فِي نغم الْقُرْآن وإيقاعه الموسيقي البديع، سالكاً خطا سيد قطب فِي حديثه عَن التناسق الفني.

ولكن سيد قطب لم يجعل من تِلْكَ السمة جهة إعجازية تقتضي التحدي!

وممّا ذكره الدكتور فِي إعجاز الانغام الْقُرْآنية:«إنّ المرء ليُحار إذا قرأ مثلاً سورة الرحمان فيتساءل: هل انبعث إيقاعها الرخي المنساب من مطلعها أم من ختامها أم من خلال آياتها؟

DOI:10.18018/URUK/020-13/390-410

وإذا هُوَ يقطع بأنّ النغم يسري فيها كلها: فِي فواصلها ومقاطعها. وفي ألفاظها وحروفها، وفي انسياقها وانسيابها، حتى لو انتقي عَلَى حدة مقطع واحد من مقاطعها، أو موضوع واحد من موضوعاتها الجزئية، والتمس فِي أجزائه النغم والإيقاع لكان فِي كل جزء منه نغمه، وفي كل حرف منه لحن من ألحان السماء»[17].

وقال عنه الدكتور هنداوي:«نقصد بالإعجاز الصوتي للقرآن مجيئه عَلَى هيئة خاصة من جهة البناء الصوتي أو التشكيل الصوتي سواء لكلماته أو جمله وآياته، أو عَلَى المستوى الموسيقي أو الإيقاعي فِي السورة بأسرها ومدى موافقة ذَلِكَ واتساقه وتواؤمه مَعَ المعاني والمقاصد الَّتِي تقصد إليها السورة عَلَى نحو من المواءمة والمطابقة العجيبة الَّتِي يستبعد وقوعها فِي مثل كلام البشر بهذه الدرجة من المطابقة والموافقة والمواءمة لمعاني الكلام»[18].

ولكن هَذَا الكلام لا يعطي للصوت بذاته قيمة عليا؛ لأنّه فرع الاختيار والنظم المخصوص. ولم يلتفت الدكتور إِلَى أنّ الإعجاز روح سارية فِي نسيج النصّ كله، وليست كذلك الخاصيّة الصَّوتية الَّتِي ألبسها كمال الإعجاز، فكثير من آيات الأحكام لا نجد فيها ذَلِكَ التشكيل الصوتي الفريد مَعَ انّها عالية المضمون سامقة البناء. وإذا كان الامر عَلَى ما أراده المصنّف. فلماذا جاءت اختياراتهم متوافقة وأمثلتهم متشابهة•؟!

ألا يدل هَذَا عَلَى أنّ السِّمة الصَّوتية ظاهرة فِي بعض الآيات دون غيرها.

وممن كتب عَن الإعجاز الصوتي:

نور الدين الفكير	في الإعجاز الصَّوتي في الْقُرْآن
محمد بنعمر	في أطروحته الإعجاز الصوتي.
سلمان علاء الشافعي	في الإعجاز الصوتي في الْقُرْآن الكريم
عبدالله أبو السعود بدر	في الإعجاز الصوتي في الْقُرْآن الكريم
عبدالحميد هنداوي	في الإعجاز الصوتي في الْقُرْآن الكريم
محمد الصغير ميسه	في جماليات الإيقاع الصوتي في القرآن

وتحدث عنها الدكتور دفة بلقاسم فِي نماذج من الإعجاز الصوتي فِي الْقُرْآن الكريم.

وتحدث عن هذه الجهة ايضا الدكتور محمد محمد داود فِي الإعجاز البياني.

وتحدث عنها السيد سليمان العبد فِي بحثه من صور الإعجاز الصوتي فِي الْقُرْآن الكريم.

ولا يمكن لهذه المنجزات أنْ تخرج عَن منطقة اشتغال سيد قطب، وهم يرقنون فكرة الإعجاز، وليس بها حول عَلَى أنْ تستقل عَن أفكار الرافعي وصبحي الصالح، إذ تخطو الأثر، وتقفو الدليل، فتعمل عَلَى بسط موائد الصوت وعرض آفاقه المتعددة، سواء فيما يخص جهة الفصاحة، أم التناسق الفني، أم الإيقاع الرخيم أم غيرها من المظاهر المتأتية من الوسائل البديعية وبعض الظواهر اللغوية. وفي كل ذَلِكَ لا نجد أنفسنا خارجين - فِي العرض والتحليل – عَن ميدان فكرة النظم الَّتِي نادى بها عبد القاهر الجرجاني؛ لأنّ الصوت مظهر نطقي لاجتماع الحروف وترابطها فِي كلمات، وتجلٍ لفظي لمكنونات المعنى ومستودعات التفكير.

أمّا إذا قيل: إنّ المزية والفضيلة لذات الأصوات المنطوقة الَّتِي تحدث أثراً سمعياً مجرداً فِي الآذان، فهذا مما نجافيه، ونحيد عنه جانباً؛ لأنّ البواعث النغمية، والمحركات الموسيقية بتناسقها وتناسبها، وانسياقها الرتيب وتواليها الجميل، يهيج المشاعر ويلهب العواطف، ويحث عَلَى الطرب، ويؤلب النفس، فتتحرك بذلك السحرِ لا شعورياً، وتندفع بعفوية لتشبع نهمها، وتروي ظمأها.

ولكن هَذَا ظاهر لدى العرب، متحقق بعفوية فِي لحن خطابهم، وكائن فِي فنون كلامهم، حتى إنّ السمة الصوتية بالإيقاع والتنغيم والجرس الموسيقي الرخيم من أبرز خصائص لغتهم، وقد تكفلت المباحث البيانية إجلاء القيم الجمالية المتمثلة بالفصاحة بتناسب أصوات الكلمات، وابتعادها عَن الغرابة وتنافر الحروف.

فهل نُعدّ هَذَا وجهاً للإعجاز فِي الْقُرْآن؟

وإذا كان كذلك، فهل يجرّنا إطاره الخارجي بمعزل عَن المؤدى المعنوي والمقصد الداخلي؟!

DOI:10.18018/URUK/020-13/390-410

أقول بصراحة: إنّ هَذَا لا يمتّ إِلَى الإعجاز بصلة، ولا من شأنه أنْ يضيف المزية والفرادة إِلَى الْقُرْآن، فثمة أسفار من الموروث الأدبي حوت ذَلِكَ الإيقاع الموسيقي والترنيم الصوتي، وقد أشبعت بحثاً من لدن علماء البيان والبديع.

وقد حفل التراث بكثير من المحاولات الَّتِي تسعى إِلَى بلوغ شأن الْقُرْآن صوتياً ظناً منهم أنّ المؤدى واحد نحو:

1. «الفيل ما الفيل وما أدراك ما الفيل...»[19].

على غرار قوله تعالى:

﴿الْحَاقَّةُ(1)مَا الْحَاقَّةُ(2)وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ(3)﴾ **الحاقة: 1-3**

﴿الْقَارِعَةُ(1)مَا الْقَارِعَةُ(2)وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ(3)﴾ **القارعة: 1-3**

2. «والمُذرات زرعاً، والحاصدات حصداً، والذاريات قمحاً، والطاحنات طحناً، والعاجنات عجناً، والخابزات خبزاً، والثاردات ثرداً، واللاقمات لقماً....»[20].

على غرار قوله تعالى:

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا(1) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا(2) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (3) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا(4) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا(5)﴾ **النازعات:1-5**

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا(1)فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا(2)وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا(3)فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا(4)فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا(5)﴾ **المرسلات:1.5**

3. «الحمد للرحمن رب الأكوان، الملك الديّان، لك العباد وبك المستعان...»[21].

على غرار قوله تعالى:

4. «إنّا أعطيناك الجواهر، فصل لربك وجاهر، ولا تعتمد قول ساحر»[22].

«إنّا أعطيناك الجماهر، فصل لربك وهاجر، وإن مبغضك رجل كافر»[23].

على غرار قوله تعالى:

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ(1)فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ(2)إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ(3)﴾ **الكوثر:1-3**

إنّ الشاكلة الصوتية موجودة بين الاثنين، ولكن المقصد وشرف المعنى منعدم.

إذاً، لم يكن الصوت المحض هُوَ الوجه للإعجاز بذاته، فالأنغام تتحقق من تناسق الحروف، وإنْ كانت مهملة فِي الاستعمال، ولم تجر عَلَى لسان التداول، لذلك قال الرافعي: إنّ كلام مسيلمة المتقدم

«واه سخيف لا ينهض ولا يتماسك بل هُوَ مضطرب النسج مبتذل المعنى مستهلك من جهتيه...»[24].

وقال السيد الخوئي عَن صاحب رسالة حسن الايجاز:

«إنّه توهم أنّ المشابهة فِي السجع بين الكلامين تقتضي مشاركتهما فِي البلاغة..»[25].

فالمعنى، إذاً، شريك فاعل فِي تحديد جهة الإعجاز، وتأسيس فكرة التحدي والمعارضة.

وعليه يمكن القول: إنّ اشتغالات الباحثين تبوح - قسراً – بفكرة النظم الجميل، الَّتِي ينكشف بها اللفظ الفصيح والمعنى البليغ والترتيب البديع. وما الصوت والنغم الموسيقي إلاّ أثر من آثار ذَلِكَ الاختيار الدقيق والانسجام السنيع.

ولو لم يكن بذلك الوضوح السمعي والجمال النغمي لمجّته الأسماع، ورغبت عنه الأطماع، وضاع بهاء النظم، وانطمست فريدة التأليف والترصيف.

وقد ذكر ذَلِكَ الباقلاني فِي التلاؤم قائلاً:

«والتلاؤم: حسن الكلام فِي السمع وسهولته فِي اللفظ، ووقع المعنى فِي القلب، وذلك كالخط الحسن والبيان الشافي. والمتنافر كالخط القبيح. فاذا انضاف إِلَى التلاؤم حسن البيان وصحة البرهان فِي أعلى الطبقات - ظهر الإعجاز لمن كان جيد الطبع، وبصيراً بجواهر الكلام..»[26].

DOI:10.18018/URUK/020-13/390-410

ولا ريب أنّ الإخلال بالجانب السمعي يذهب بهاء النظم وعذب مائه. ولكن لا يمكن أنْ نثبت المزية للصوت بمعزل عَن النظم. نعم، يبقى هُوَ المقوّم فِي تحقيق جوهر الأصل الإعجازي؛ لأنّها تجليات نطقية مترتبة عَلَى حسن الاختيار ومتين الانتظام.

3. الاتجاه العددي أو الرقمي في الإعجاز.

ظهر هَذَا الاتجاه فِي العصر الحديث عِنْدَ بعض الكتاب والباحثين، فاستفحل عَلَى رؤاهم، وهيمن عَلَى تفكيرهم فاستفرغ لذلك جهدهم، وأنفد وسعهم، فمضوا يحكمون عقدها، ويتقنون سُبلها، وهم يتّبعون مظان الأعداد فِي الْقُرْآن الكريم، والأنساق الَّتِي ترد عليها فِي الاستعمال، ومعطياتها الدلالية.

وممن كتب فِي هَذَا المجال، وكشف صراحة عَن بعده الإعجازي:

عبد الرزاق نوفل	الإعجاز العددي، معجزة الأرقام والترقيم
رشاد خليفة	معجزة الْقُرْآن الكريم.
بسّام نهاد جرّار	إرهاصات الإعجاز العددي، وإعجاز الرقم 19
د. حميد النجدي	من الإعجازي البلاغي والعددي للقرآن الكريم
حسين سليمان	الإعجاز العددي والرقمي فِي الْقُرْآن الكريم
د. لبيب بيضون	الإعجاز العددي فِي الْقُرْآن الكريم.
عبد الدائم الكحيل	موسوعة الكحيل للإعجاز الرقمي.
صدقي البيك	معجزة الْقُرْآن العددية

يقول عبد الرزاق نوفل فِي هَذَا النحو من الإعجاز:

«إنّ الإعجاز العددي للقرآن الكريم هُوَ الوجه الَّذِي لابُدّ أنْ ندعو به إليه... إنّه الدليل عَلَى وجود الموحى... ورسالة الموحى إليه... وإنّه لأسلوب الجيل بلغة العصر.. فنحن فِي جيل الأرقام وعصر العدد والإحصاء... وسيجد كل باحث ودارس فِي الْقُرْآن الكريم.. فِي موضوعاته فِي ألفاظه.. بل فِي حروفه من أوجه الإعجاز العددي.. تساوياً أو تناسباً أو توازناً.. بما يجعله يقدم للعالمين... آية حديثة..»[27].

«إنّ التساوي العددي والتوازن الرقمي.. والتناسب الحسابي.. فِي موضوعات الْقُرْآن الكريم.. لا تستطيع القدرة البشرية أنْ تحيط به ذكراً، ولا أنْ تستوعبه توضيحاً وتبياناً»[28].

ومن أمثلته:

- تكررت كل مشتقات الضيق«13» مرّة. وبالعدد نفسه تكررت كل مشتقات الطمأنينة وبذلك يتساوى عدد ذكر الضيق بكل مشتقاته والطمأنينة بكل مشتقاتها عَلَى الرغم من عدم اجتماعها فِي آية واحدة[29].
- تكرر ذكر إبليس«11» مرّة. وبالعدد نفسه تكرر الأمر بالاستعاذة[30].

والأمر هنا يختلف عَن سابقه، فإنّ الأمر بالاستعاذة ورد أربع مرات «استعذ»، والمادة بصورها الاشتقاقية وردت سبع عشرة مرة[31].

ولم يختلف المصنفون فِي هَذَا المجال عمّا سطّره نوفل فِي كتابه، ولكنهم وجدوا الطريق أمامهم مشرعاً، فراحوا يتغنون فِي شعب القول وجهات التمثيل.

يقول الدّكتور النَّجدي:«واصلت البحث فِي نفس الطّريق مع تغيير في بعض الافتراضات الَّتِي انطلق الاستاذ عبد الرزاق نوفل، وبعد دعاء وجهد بدأت تتضح لي أمور جديدة من الإعجاز الْقُرْآني، فقلت فِي نفسي مثلاً مادام لفظ يوم ورد «365» مرة ولفظ شهر «12» مرة فلماذا لا يكون لفظ «ساعة» مثلاً يرد «24» مرة، وهو عدد ساعات اليوم الواحد. وفتحت المعجم المفهرس لألفاظ الْقُرْآن الكريم.

وبدأت أعدّ لفظ«الساعة» كم مرّة ورد، فعددته فإذا به «48» مرة، فقلت أنّ هَذَا لا يتناسب مَعَ الرقم الَّذِي إذا وجد فإنّه يتناسب. وهو العدد «24» وكاد اليأس أنْ يتملكني من هَذَا العدد لفترة، وقلت فِي نفسي، لعلّ هَذَا العدد هُوَ الَّذِي أوقف غيري من الاستمرار فِي البحث بنفس الطريق حول نفس الكلمات، إلاّ أنّني جددت الأمل وشرعت بالتفكير والعدّ بطرق أخرى تغاير نهج السابقين، وافترضت أنّ «24» لفظاً من الثمانية والأربعين لها خاصية متميزة عَن غيرها، وبالفعل وبتوفيق الله تعالى اكتشف أنّ لفظ«ساعة» ورد «24» مرة مسبوقاً بحرف، وعدد ساعات اليوم«24» ساعة»»[32].

DOI:10.18018/URUK/020-13/390-410

ولبسّام جرّار تفنن أسلوبي فِي طريقة العرض، ومن أمثلته فِي أوّل ما أنزل:

1. أوّل ما نزل من الْقُرْآن«19» كلمة.
2. عدد أحرف أوّل ما نزل«76» حرفاً أي« 19 × 4».
3. عدد أحرف سورة العلق«285» حرفاً أي«19 × 15».
4. عدد آيات سورة العلق 19 آية.
5. ترتيب سورة العلق فِي المصحف«19» قبل الأخيرة[33].

وفي هَذَا العرض تمحّل كبير، فإنّ كلمات أوّل ما نزل من الْقُرْآن ليست بهذا العدد، حتى لو أدخلنا إليها ضمير الكاف الداخل عَلَى كلمة«ربّ». وهذا الأمر يجري عَلَى عدد الحروف أيضاً، فإنّ المصنّف أغفل الحرف المشدّد، ثم إنّ ترتيب السورة فِي المصحف ليس بالعدد «19»، وهذا بيّن بذاته.

أمّا الدكتور لبيب بيضون، فقد جعل الإعجاز العددي مفهوماً، يتضمن موضوعات عدّة منها:

- المقابلات العددية.
- التفوق الحسابي لتكرار الحروف النورانية فِي السور ذات الفواتح.
- معجزة العدد «19» فِي السور ذات الفواتح.

فمن أمثلته عَلَى المقابلات:

الحرّ	تكررت4	البرد	تكرر 4
الملائكة	88	الشياطين	88
الجنة	77	النار	77[34]

ولكنّ تكرار كلمة الحرّ وردت ثلاث مرات بهذا اللفظ ومرة بلفظ «الحرور»[35]، أمّا البرد، فقد تكررت مرتين بهذا اللفظ، ومرتين بلفظ «بارد»، ومرة بلفظ «بَرَد»[36].

وكلمة الملائكة لا تبلغ ذَلِكَ العدد إلاّ إذا أضفنا إليها المفرد «ملك» وعندئذ ستزيد عَلَى العدد المذكور[37]، وكذا كلمة جنة، فإنّ أريد بها لفظة «الجنة» بعينها، فأنّها دون ذَلِكَ العدد، وإنْ زدنا عليها المثنى والجمع والضمائر المتصلة، تجاوزت ذَلِكَ المقدار الَّذِي ذكره المصنف[38] والنار تزيد عَلَى ذَلِكَ بكثير أيضاً[39].

وفي التفوق الحسابي مثّل له بسورة«ق». إذ يقول:

«ففي سورة «ق» مثلاً نجد أنّ الحرف «ق» يتكرر فِي السورة بمعدل أعلى من باقي الحروف، ثم إنّ معدله فِي السورة هُوَ أعلى معدل فِي سور الْقُرْآن عَلَى الإطلاق..»[40].

إنّ هَذَا الكلام يفتقر إِلَى الدقة إذ إنّ حرف الياء يتكرر فِي السورة أكثر من حرف القاف ويفوقهما عدداً حرف اللام.

ومن أمثلته عَلَى الرقم «19» ما ذكره فِي سورة «القلم» فِي حرف النون، فإنّ عدد حروفه 133=19 × 7 [41].

وهذا العدد الَّذِي ذكره المصنّف غير دقيق أيضاً، ولأكون أميناً سأذكر الأحرف مَعَ الكلمات عَلَى النحو الآتي:

الكلمة	حروفها
ن	1
أنت	1
مجنون	2
ممنون	2
ويبصرون	1
إنّ	2
عن	1
المكذبين	1
فيدهنون	2
بنميم	1
زنيم	1
كان	1
آياتنا	1
سنسمه	1
بلوناهم	1
الجنّة	2
مصبحين	1
ولا	2
نائمون	2
مصبحين	1
إن	1
صارمين	1
يتخافتون	1
يدخلنّها	2
قادرين	1

الكلمة	حروفها
يسطرون	1
بنعمة	1
إنّ	2
وإنّك	2
المفتون	1
بمن	1
بالمهتدين	1
تُدهن	1
مهين	1
منّاع	2
أن	1
بنين	2
الأولين	1
إنّا	2
بلونا	1
ليصرمنّها	2
يستثنون	2
من ربك	1
فتنادوا	1
أن	1
كنتم	1
فانطلقوا	1
أن	1
مسكين	1
إنّا	2

DOI:10.18018/URUK/020-13/390-410

لضالون	1
محرومون	1
سبحان	1
إنّا	2
ظالمين	1
يا ويلينا	1
كنّا	2
ربنا	1
يبدلنا	1
إنّا	2
راغبون	1
يعلمون	1
للمتقين	1
جنّات	2
أفنجعل	1
كالمجرمين	1
تدرسون	1
تخيرون	1
علينا	1
تحكمون	1
كانوا	1
عن	1
يستطيعون	1
يدعون	1
فذرني	1
سنستدرجهم	1
لا يعلمون	1
متين	1
مثقلون	1
يكتبون	1
نادى	1
نعمة	1
لنبذ	1
الصالحين	1
ليزلقونك	1
لمجنون	2

نحن	2
تسبحون	1
ربنا	1
كنّا	2
يتلاومون	1
إنّا	2
طاغين	1
أنْ	1
منها	1
ربنا	1
كانوا	1
إنّ	2
عند	1
النّعيم	2
المسلمين	1
تحكمون	1
إنّ	2
أيمان	1
إنّ	2
إنْ	1
صادقين	1
يدعون	1
كانوا	1
سالمون	1
ومن	1
من	1
إنّ	2
من	1
عندهم	1
تكن	1
أنْ	1
من	1
من	1
إنْ	1
إنّه	2
العلمين	1

والمجموع من تكرار هَذَا الحرف هُوَ «150»

وهو لا يقبل القسمة عَلَى العدد «19»

وهكذا يستمر أصحاب هَذَا الاتجاه فِي البحث والتنقير عَن جمهرة التناسقات العددية، والمضاعفات الرقمية، والتمحلات التأويلية من أجل عزو فضيلة وإثبات منقبة وتدعيم حجة، لا تقوم أغلبها إلاّ عَلَى أساس تأويلي متعسف ومنهج تلفيقي متكلف، مجردين بذلك الخصوصية العظمى الَّتِي تحلى بها الْقُرْآن، وتميّز عَن غيره.

أوّل ما يواجهه هؤلاء من إشكال أنّهم لا يكادون يفرقون بين الإعجاز بوصفه مفهوماً فلسفياً ـــــ أنتجته الثقافة الإسلامية بأبعاده العقدية وخصائصه الاصطلاحية ـــــ يعمل فِي ضمن منظومة معرفية كبرى؛ لإثبات دعوى ومشروعية عمل، وهو ينبثق من واقع عملي، يكتسب صفة التجريب، ويحظى بفرصة الممارسة.

وبين أدواته المعتمدة فِي البلوغ والإقناع، وخصائصه المميزة، وسماته المتفردة. فليس كل مزية يمكن إثباتها للقرآن تتخلص للإعجاز، وتقتضي التحدي والمعارضة، لأنّ اكتساب الصفة والتحلي بالنعوت لا يستلزم التجاوز عَن كل ما هُوَ مألوف، ثم إنّ التحدي بالضرورة ينبثق من تِلْكَ الخصلة السارية فِي نسيج النص كله، لأنّ التبعيض قد يفوت الفرصة فِي بلوغ الغرض، ولذلك لا تصح الدعوة إِلَى التحدي فِي الفنون العلمية والشعب المعرفية بلا مقتضٍ، ولا رفع للمانع، وكل لبيب بارع بل كل باحث مطالع، لا يخفى عليه أنّ العرب الأوائل لم تحفل فنونهم بامتيازات رقمية، ولا جوانب عددية، ولا يمكن - عَلَى فرض وجود شذرات مِنْهَا – أنْ تؤلّف نسيجاً معرفياً، يجعلهم فِي مرتبة من الأمم دون سواهم.

ثم إنّنا إن أمعنا النظر، وأعملنا الفكر فِي تصويب هذه المعطيات الرقمية الَّتِي ذكرها أصحاب هَذَا الاتجاه فِي الانسجامات، والتناسبات، والتقابلات، وأخرجنا مِنْهَا ما يلوحه غبار الوهم والتزييف، فأنّها يمكن أنْ تُعدّ من الإجراءات الأسلوبية المميزة الَّتِي تكشف بصمات المبدع فِي سر الاختيار ودقيق الانتظام، لا بذاتها واستقلالها، بل إِلَى عزيز حكمتها، وجليل مقصدها فِي النظم والتأليف.

DOI:10.18018/URUK/020-13/390-410

أمّا إذا نظرنا إِلَى الأعداد والأرقام بذاتها مجردة، فإنّ هَذَا لم ينل الحظوة فِي الاستعمال، ولا الكثرة فِي التداول، وقد عمد أكثر أصحاب هَذَا الاتجاه إِلَى استعمال الأعداد الافتراضية، يستنبطونها من مجاري التفكير والتأمل فِي الْقُرْآن عَلَى نحو: كم وردت هذه اللفظة؟ وإنّها توازن هذه الكلمة، وإنّ هَذَا الحرف أكثر استعمالاً، ولو قسمنا عدد الآيات فِي السورة لظهر لنا الرقم كذا... وإنّ هَذَا الرقم ممّا بنيت عليه السورة الْقُرْآنية وهلم جرا.

وهل يصح أنْ يكون الإعجاز فِي أمر مستبطن، وفن مستور، وذوق مستهجن، لا ينال إلاّ بالحيل والتأويل؟!

أرى أنّ هَذَا الصنيع لا يضيف للثقافة الإسلامية إلاّ منهج المخاتلة ونسق التزوير الَّذِي لا يضفي عَلَى الْقُرْآن غير رؤى أصحاب الذوق وأوّلي الاستحسان، وهي عَلَى تكلفها وفرط صنعتها، تذهب بهاء الْقُرْآن ورونقه، فنستبدل المعادلات وصنع الحسابات، وتمحل التناسبات ببدائع اللسان ومفتنات البيان الَّتِي بقيت طوداً شامخاً، يأوي إليها أهل الفصاحة والبلاغة فِي إثراء ملكاتهم وإغناء قرائحهم، وتقويم مسار القول ذي المعنى الشريف والقصد الطريف..

وليس من وكدي أنْ أقف عَلَى جُلّ نماذجهم، واستعرض كثيراً من مسالكهم؛ لأنّ النظر فيها، يستلزم المعالجة، ويحدو إِلَى التجريح والتشريح، ويسوق إِلَى التقويم، وسأكتفي بما ذكره بسام جرّار فِي تكرار فواتح السور:

	مجموع تكرار	أ+ ل+ م+ ر	مضاعفات العدد 19
	مجموع تكرار	أ+ ل+ م+ ص	مضاعفات العدد 19

	مجموع تكرار	(ح+م+ع+ س+ق)	مضاعفات العدد 19
	مجموع تكرار	ح+ م	مضاعفات العدد 19
	مجموع تكرار	ع+ س+ ق	مضاعفات العدد 19
	مجموع تكرار	(أ+ ل+ م)	مضاعفات العدد 19
	مجموع تكرار	(أ+ ل+ ر)	مضاعفات العدد 19
	مجموع تكرار	(ط+س+م)	مضاعفات العدد 19
	مجموع تكرار	(ط+س)	مضاعفات العدد 19
	مجموع تكرار	(ط+ه)	مضاعفات العدد 19
	مجموع تكرار	(ك+ه+ي+ ع+ص)	مضاعفات العدد 19
	مجموع تكرار	(ي+س)	مضاعفات العدد 19
	مجموع تكرار	ص	مضاعفات العدد 19
	مجموع	ق	مضاعفات العدد

DOI:10.18018/URUK/020-13/390-410

	تكرار		19
	مجموع تكرار	ن	مضاعفات العدد 19

ويخلص من هَذَا ما يأتي:

1. التأكيد عَلَى خلو الْقُرْآن من الزيادة والنقصان، وبذلك تنهار كل المحاولات الَّتِي أرادت النيل من هذه الحقيقة.
2. استحالة أنْ يكون هَذَا النظام قد حصل مصادفة، فالقصد واضح لا شك فيه.
3. إنّ هَذَا النظام الْقُرْآني يضعنا عَلَى بداية الطريق نحو إعجاز عددي مذهل[42].

ويمكن أنْ يوردَ عليه ما يأتي:

1. إنّ هذه الإحصاءات الَّتِي مثّل لها، لا تؤكد خلو الْقُرْآن من الزيادة، ولا يعزز ابتعاده عَن النقصان، فلو زيدت بعض الأحرف أو نقصت بمقادير رتيبة بمهارة وحذق، لأمكن أنْ يقبل العدد الناتج القسمة عَلَى «19» أو من مضاعفاته.
2. لا يوجد معيار ثابت فِي الإحصاء، وكان الأجدر بالكاتب أنْ لا يركن إِلَى وسائل التعسف وسبل التمحل، فالنون مثلاً تعرف بصورتها الكتابية حرفاً، ولا شأن للتلفظ بذلك، وقد جعل الباحث التنوين نوناً[43]، وبينهما مسار قصي، ولم يكن له بُدّ من ذلك؛ لأنّ المعادلة لديه ستنفصم وتُحلُّ عراها.

ثم أقول: ماذا عمل مَعَ همزة الوصل الَّتِي تكتب ولا تلفظ؟

وهل الألف فرع من الهمزة؟

وكيف يتعامل مَعَ الأحرف الَّتِي تحذف من الرسم الْقُرْآني، كما فِي حذف اللام من الليل، والذي، وحذف الياء من إبراهيم، وايلاف والمهتدي...؟

ولم يفصح عَن منهجه فِي التعاطي مَعَ الأحرف الَّتِي تزاد مَعَ اللفظ فِي الرسم كالألف فِي مائة وتأسوا، والياء فِي بأييكم المفتون...

وما تبريره لذلك الرسم؛ أهو منزل بصورته المتداولة أم إنّ الرسم متأخر فِي كتابة المصحف؟!

وإذا كان القدماء يكتبون المصحف بلا نقط، فهل كان الإعجاز عندهم بخلوه من النقط؟!

وإذا كان الباحث ممن يعتقد أنّ الْقُرْآن والقراءات حقيقة واحدة، فكيف سيفسر جهات الحذف والزيادة والتغيير في ضوء منهجه الإحصائي؟

3. لم يثبت هَذَا نظاماً إلاّ فِي مخياله الذهني، وأسلوبه الظني، الَّذِي لا يغني ولا يجدي...فقد ذكر أنّ حرف النون تكرر «133» مرة، وهو يقبل القسمة على«19». وحرف القاف تكرر فِي السورة «57»مرة، وهو يقبل القسمة على«19» أيضاً. لكن هَذَا غير سليم، وفيما سبق أعددت النون فوجدتها عَلَى غير ما ذكر، وسأذكر حرف القاف عَلَى النحو الآتي:

الكلمة	حروفها
ق	1
فقال	1
تنقص	1
فوقهم	1
باسقات	1
قبلهم	1
وقوم	1
بالخلق	1
لقد	1
أقرب	1
المتلقّيان	2
قول	1
بالحقّ	2
لقد	1
قرنيه	1
فألقياه	1
قرنيه	1

الكلمة	حروفها
القرآن	1
قد	1
بالحقّ	2
ألقينا	1
رزقاً	1
قوم	1
فحقّ	2
خلق	1
خلقنا	1
يتلقّى	2
قعيد	1
رقيب	1
سائق	1
وقال	1
ألقيا	1
قال	1
قال	1

DOI:10.18018/URUK/020-13/390-410

قد	1
القول	1
وتقول	1
بقلب	1
قرن	1
قلب	1
لقد	1
يقولون	1
وقبل	1
بالحقّ	2
يقولون	1

قدمت	1
نقول	1
للمتقين	1
قبلهم	1
فنقّبوا	2
ألقى	1
خلقنا	1
قبل	1
قريب	1
تشقّق	3
بالقرآن	1

وبمجموع هذه الأحرف نحصل عَلَى الرقم «65»، وهو ليس من مضاعفات العدد تسعة عشر. ولعل الباحث أغفل التضعيف فِي الكلمات الآتية: «الحقّ، ويتلقّى، والمتلقّيان، وفنقّبوا، وتشقّق»، أو أنّه أخلّ بالإحصاء لكي يستقيم الأمر، حتى كان ذَلِكَ الإجراء يعمي المتلقي، ويسدل الستار عَلَى الحقيقة. وفي الكلام شجون من النقد والتمحيص، لا يسع المجال لذكرها، ولا يدعني المقام لعرضها وتفكيكها.

4. اتجاه الرسم الْقُرْآني فِي الإعجاز:

تطرّف بعض الكتاب والباحثين فِي مجال النظر، وازدادوا بعداً عَن روح البحث العلمي والتصور الموضوعي، فاتخذوا لأنفسهم مناطق اشتغال موهومة، ومحال تنقير موبوءة، لا تتيح من سبيل المعرفة غير الترف والتزويق، ولم تكن موائد أدلّتهم قائمة عَلَى ركائز عقلية ومبتنيات فكرية، فالغالب عليها سمة التقديس، والمهيمن عَلَى سطوتها دافع التنزيه. وكان من المفترض أنْ يخوض البحث فِي جوانب علمية تضيء للمتلقي من أسرار هَذَا الوجود الزاخر دُرراً ولآلئ تعمق روافد المعرفة وتثري جوانبها.

وقد كان الباحث محمد شملول من هؤلاء النفر، إذ عمد إِلَى نقل ساحة الإعجاز إِلَى أندية غير علمية، ومبانٍ غير يقينية، تجرّ إِلَى الفكر الإسلامي مهازل العطن، وتلبسه أثواب التجريح. فكتب: «إعجاز رسم الْقُرْآن وإعجاز التلاوة»، جاعلاً الديباجة أصلاً موضوعياً؛ لتقرير الحجة لديه، إذ يقول، فِي عنوانه الأوّل:

وقد تبين للباحث أنّ الكلمة الْقُرْآنية توقيفية من عِنْدَ الله، ولا دخل لكتبة الوحي فيها. وما فيها من تغيير فِي مباني بعضها لا يجعلها مصادفة أو اعتباطية. بل هي مقصودة، جيء بها لتؤدي دلالات معنية عَلَى خير وجه[44].

وترتيل الكلمة الْقُرْآنية وما يتبعه من جمل وآيات ترتيلاً صحيحاً كما انزله الله يعطي إعجازاً ومعاني جديدة لا تؤديها القراءة العادية[45]. ثم يأتي إلى مقصده الإعجازي قائلا:

والباحث يجعل هذين المنحيين: الرسم والتلاوة، غير خارجين عَن الإعجاز البياني فِي الْقُرْآن الكريم[46].

ومن أولى الركائز لديه فِي تبني هَذَا الوجه هُوَ توقيفية رسم المصحف، إذ يقول:

ولم يغفل الباحث ذكر قواعد الرسم فِي المصحف الْقُرْآني، كالحذف والزيادة والهمز والبدل والفصل، وما فيه قراءتان فكتب إحداهما[47].

ثم تحدث عَن قضايا دلالية كمناسبة صفات الأصوات للمعنى، ومناسبة زمن الصوت لزمن الحدث، ومناسبة الصيغة للمعنى، وزيادة المعنى بزيادة المبنى[48].

ويستعرض أمثلة كثيرة لاختلاف رسم الكلمة الواحدة فِي مواطن مختلفة.

ويمكن أن أقف مَعَ هَذَا الباحث من أصل مبتنياته بما يأتي:

1. إنّ كلمة «إجماع» فِي إثبات التوقيف تخدشها وصيفتها «معظم»،وهذا يعني أنّ التوقيف مستند إِلَى قراءة جمع من العلماء فِي ضوء ما يتبنّونه من أدّلة، ويجمعونه من قرائن. ولكن وجود طرف يتمنّع من ذَلِكَ مَعَ حججه، يدل عَلَى أنّ المسألة ليست من المسلمات العقدية، ولا من الضرورات الدينية، فلم يؤكدها قرآن، ولا يوجد فِي سنن الرسول«2» ما يوثقها.
2. إنّ مشروع جمع المصحف وكتابته تأخر عَن زمن الرسول«2»، ووجود بعض الأحاديث الَّتِي تؤكد

DOI:10.18018/URUK/020-13/390-410

الكتابة، لا يعني تمثلها، فعلاً، فِي مصحف جامع، وإلاّ كانت مبادرة الخلفاء إعادة إنتاج غير سليمة، وفكرة غير رشيدة.

3. إنّ واقعة الحرّة وروايات كثيرة جداً تُعدّ من أعظم الأدلة وأنصع البيّنات فِي أنّ الْقُرْآن كان مجموعاً بسنخ آخر من الحفظ والتعهد، فقد دُوّن فِي صدور المسلمين، وجمع فِي أوعيتهم، وقد خشي عليه من الضياع بفقدهم، فثُبّت بالخط، ورقن بالكتابة.
4. إنّ المصحف الأوّل كان مجرداً من النقط، ولو كان هَذَا الرسم المتداول الآن جارياً عَلَى الأصل، لثبت خلو المصحف من النقط.
5. إنّ سنن الكتابة غير واضحة، وقواعد الرسم مبهمة، وسبيلها غير مطرّد، فمرة تكتب بصورة معينة، وإذا ما جاءت فِي آية أخرى كتبت بصورة مغايرة.
6. لا توجد لدينا نسخ خطيّة موثقة قد نقلت من المصحف الأم، وليس بأيدينا ما يدعم أنْ تكون هذه المصاحف مطابقة رسماً لما عمله الخليفة.
7. إنّ كتّاب الوحي كانوا قلّة، فمن الَّذِي هداهم إِلَى طرائق هَذَا الرسم، وضبط أصوله كما نجده عِنْدَ المتأخرين.
8. إنّ جمع المصحف وتدوينه بعد وفاة الرسول«2» قد استند إِلَى مبدأ الأداء والشهادة، فمن أين علم الكتّاب مثلاً أنّ رسم كلمة «يعفو» تكتب «يعفوا» فِي أربع سور، وفي سورة النساء لا غير كتبت «يعفو».
9. إنّ هَذَا يخالف ما ذكره الزرقاني بقوله:

هذا النص يؤكد بوضوح أنّ الرسم لم يكن توقيفياً، ولا من عمل الصحابة، بل هُوَ إجراء متبع لمنع اللبس ورفع التوهم، وقد كان يقصد إليه قصداً، ومن جهة أخرى أنّ اختلاف الرسم فِي الكلمة الواحدة يتبع اختلاف القراءة، ولا دخل لها بالتوقيف. فإذا ثبت رسم للكلمة بصورة مغايرة لرسمها فِي الأصل، فُسر ذَلِكَ عَلَى أساس تعدد القراءات لا غير.

وفي الأحوال كلها تبقى هذه من المسائل الخلافية الَّتِي لا يمكن أنْ نذعن لرأي فيها، ونسلّم له، جاعلين منه سبباً للقول بالتوقيف، وذريعة فِي الإقناع، فهي نتاجات فكرية وقراءات معرفية، للتأويل نصيب كبير فيها، لذلك قد تقترب من الحقيقة وتلامس جوهرها، وقد تكون سبباً فِي خلق ثقافة التهميش وبثّ مناخات التقليد، وقتل روح النظر والتجديد. فيكون القول بالتوقيف من أعظم الكوارث فِي تجميد الفكر وأسر أدواته الإقناعية.

أمّا الأمر الآخر الَّذِي ينبغي أنْ نتوقف عنده، فيتمثل بمفهوم الإعجاز والجهة. وهنا يتحرر سؤال موجه للباحث: ما الَّذِي تريده بالإعجاز؟ أهو الأمر الخارق المجاوز للمألوف أم نسبة الرسم إِلَى الإقرار والتوقيف؟ وكيف كان التحدي فِي بداية الدعوة، والْقُرْآن، بعدُ، لم يدوّن، والآيات لم تقنن وتنسق، وقد كان نزولها تدريجياً، وأمر التحدي انطلق من البيئة الوثنية والعهد المكي؟!

فكيف يكون الرسم آنذاك فاعلاً فِي إقرار الإعجاز، وهو لم يحظَ بنور الوجود، ولم يطهر بنعمة الظهور؟!

راقهم الْقُرْآن بسحر بيانه وبديع نظامه، وهو بعدُ بصفته السمعية ونطاقه اللفظي، فقد كان يصك الأسماع بدويه الموسيقي العذب ونغمه الايقاعي الخصب، ولم يكن ثمة كتابة، ولا تحقق رسم، فكيف، إذاً، برز التحدي؟! وكيف حصلت المجاراة؟! ولماذا يسلم شيء عَن المعارضة والموضوع فِي مطاوي العدم، وفرضيات الإمكان؟

إنّ هَذَا تعسف من القول، وتخلّف عَن المقتضى.

ثم أيّ منقبةٍ يمكن أنْ نسجّلها لأمر عارض عَلَى الصوت، طارئ عَلَى اللفظ؟ فليست الكتابة والرسم إلاّ تجليات خطية لصور الخطاب وأجناسه. فلا تكتب لها السبق والمفاضلة لذاتها، لأنّها خاضعة للتواضع والاصطلاح.

وسواء كتبنا الكلمة «والعاكفين» أم «والعكفين»، فما الأثر الإعجازي الَّذِي يحققه لدى المتلقي؟ وما دوره فِي إثبات الدعوة ومجاري التنزيل؟

DOI:10.18018/URUK/020-13/390-410

لقد وجد هؤلاء من يناصرهم ويؤازرهم فِي تبني رؤى عليلة ومباني عقيمة لا شيء فيها سوى بسط مساحة التقديس، وهيمنة الخطاب الديني عَلَى كل مفاصل المعرفة، ظناً منهم أنّ هَذَا يقود إِلَى فكرة «أسلمة العلوم»،غافلين عَن المباني الأصيلة الَّتِي تقوم عليها المنظومة الدينية فِي الإبلاغ والإقناع.

ولو كان الدكتور علي جمعة «مفتي الديار المصرية» متريثاً فِي تقديمه للكتاب، لكان خيراً؛ لكنه بدلاً من ذَلِكَ قال:«وبين أيدينا محاولة جادة رصينة»[49].

وإنّ هَذَا الكتاب يظهر الجانب الإعجازي[50]، وقد سبق بمحاولة الحداد فِي كتابه الآيات البينات. والمراكشي فِي كتابه التبيان[51].

وقد أتت الباحثة الدكتورة نمشة بنت عبد الله الطوالة بما يثلج الفؤاد، ويحقق المراد، فقد كتبت بحثاً بعنوان: «إعجاز الرسم الْقُرْآني بين المثبتين والنافين» فكفتني مؤونة البحث والتنقير عَن أصوله الموضوعية وبداياته التأسيسية. ومما أشبعته بحثاً مسألة توقيفية الرسم الْقُرْآني من حيث القبول والرفض، إذ عرضت ثلاثة اتجاهات فِي المسألة، ومع حدّة الذاهبين إِلَى الرأي الأوّل أكدّت أنّ ورود النص بكيفية كتابة المصاحف وأنّ معرفة طريقة كتابتها لم يكن وارداً عَن الصحابة، ولا عَن أهل القرون المفضلة بعدهم، بل هي مسألة متأخرة، ساعدت الدواعي الَّتِي تنادي بتغير الرسم العثماني وكتابة المصاحف برسم الإملاء القياسي[52].

وقد ذكرت الباحثة أسماء الذاهبين إِلَى هَذَا الوجه:

- **عبدالعزيز الدباغ 1131هـ**

  الذي صرح: كما أنّ نظم الْقُرْآن معجز فرسمه أيضاً معجز[53].

- **محمد العاقب بن سيدي عبدالله اليوسفي الجكني 1312هـ.**

  الذي يقول فِي منظومته: «ليظهر الإعجاز فِي المرسوم منه كما فِي لفظه المنظوم»[54].

- **محمد بن علي بن خلف الشهير بالحدّاد 1357 هـ**

  في كتابه إرشاد الحيران إِلَى معرفة ما يجب إتباعه فِي رسم الْقُرْآن.

- **محمد حبيب الله بن عبدالله الشنقيطي 1362 هـ.**

  الذي يقول: خط الْقُرْآن العظيم معجز لسائر الأنس والجن[55].

- **علي بن محمد الضباع 1380 هـ**

  في كتابه سمير الطالبين

- **عبد العظيم المطعني 1429هـ**

  في سلسلة بعنوان خصوصيات الرسم العثماني.

- **علي جمعة**

  في تقديمه لكتاب محمد شملول

- **عاطف أمين قاسم**

  في كتابه رسم الْقُرْآن المعجز بخصائصه وظواهره وأسراره.

- **عبد المنعم كامل شعير**

  في كتابه الإعجاز الْقُرْآني فِي الرسم العثماني

- **سامح القليني**

  في كتابه الجلال والجمال فِي رسم الكلمة فِي الْقُرْآن

- **محمد سامر**

  الذي ينصّ فِي كتابه رسم الْقُرْآن معجز كلفظه ولا يمكن تغييره

- **محمد شملول**

  في كتابه إعجاز رسم الْقُرْآن[56].

إذاً، هَذَا الوجه لم يسلم من البراءة فِي مباحث الإعجاز، ولم تكتب له المنقبة فِي التقدم والإنجاز، بل هي دعوات اشتد عودها عِنْدَ المحدثين، ونما ريعها فِي ظل طقوس التقديس الَّتِي تسوق الثقافة الإسلامية إِلَى منعطفات

DOI:10.18018/URUK/020-13/390-410

حادّة ومفترقات مضللة تعمل عَلَى خرم الخطاب الديني، وتفتيت النظام العقدي.

7- اتجاه القراءات الْقُرْآنية فِي الإعجاز

بعد تِلْكَ الميول المتطرفة فِي صنع أمثلة التقديس، والرؤى المتمادية فِي تأسيس ثقافة الوهم والتعطيل، لا نعدم وجود حفريات عبثية، يسعى أصحابها لإنتاج المعرفة فِي أرض بوار، بعيدة عَن مصادر الحياة وسبل تكوينها..

وقد تمثل للناظر اتجاه جديد فِي الإعجاز، يجعل القراءات الْقُرْآنية ميداناً له، ومحل العمل والاشتغال. وهذا ما عمله صبري الأشوح فِي كتابه الموسوم: «إعجاز القراءات الْقُرْآنية دراسة فِي تاريخ القراءات واتجاهات القرّاء».

إنّ الديباجة تحيل عَلَى تِلْكَ النسبة فِي الادّعاء، ولكن الكتاب خالٍ من ذَلِكَ المضمون، فلم أظفر بشيء عَن الإعجاز ومفهومه، أو أنّه يتسع ليشمل القراءات الْقُرْآنية، فليس العنوان إلاّ تطريزاً منمقاً يوشي به علم القراءات؛ لكي تجد مكانها من التقديس والتطهير..

وقد انتظم الكتاب بأبواب، تتضمنها فصول عَلَى النحو الآتي:

البـــاب تاريخ القراءات

الاول

الفصـــــل القراءات الْقُرْآنية

الاول

علامات فِي تاريخ القراءات

مفهوم الاختيار فِي القراءات

البـــاب اتجاهات القرّاء

الثاني

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

إنّ هَذَا المتن جلي للقارئ – من فصوله وأبوابه – وهو لا يتصل بمفهوم الإعجاز فِي المحتوى، فهما فرعان منبثقان من منظومة كبيرة، يجسّدها مفهوم علوم الْقُرْآن، وهما قسيمان لا يصح أن يكون أحدهما قسماً من الآخر.

وما يؤلمني – حقاً ـــــ ويزيد فِي أوجاعي استغلال المفاهيم واستدعاء مركزيتها فِي المنجزات العلمية، بلا عدل فِي المطابقة، ولا صدق فِي المواطأة، فأصابع التهمة لا تتجاوز الأذهان، ومقاصد المخاتلة لا تغور إِلَى الجنان وقد وقع تسائل مني، عندما شخص هَذَا العنوان أمام ناظري: كيف تكون القراءات جهة فِي الإعجاز؟

وأيّ أثر يمكن أن تقدمه فِي إعجاز الْقُرْآن، تثبيت به النسبة إِلَى الخالق، وتعزز البراءة من المعارضة؟

ثم إنّ القراءات الْقُرْآنية بصورها المتعددة لا تكشف عَن الفوت، ولا تظهر العجز عِنْدَ العرب، وإذا تنزلنا وتسامحنا فِي العبارة، وقلنا: إنّ القراءات لا تمثل جهة، بل هي معجزة، وإعجازها يسانخ إعجاز الْقُرْآن، فهنا يأتي السؤال الآخر: ما الداعي لجعل معجزتين فِي طلب التحدي؟! أكان يكتنف الْقُرْآن ضعف، ويشوبه خلل حتى يحتاج إِلَى توثيق فِي إثبات النبوة؟ أم إنّ المتلقي عنيد فِي الإقناع، وهو يحتاج إِلَى مراتب عالية من البيان يناسب عظيم مقامه، وجليل منزلته؟ وهذا يعني أنّ الْقُرْآن بنفسه لا يقوم دليلاً عَلَى صدق المرسل وصحة الرسالة، وإنّه دون بلاغة القراءات فِي إيجاد الفوت وتحقيق السبق.

لذلك أنا لا أميل إِلَى أنْ يكون الإعجاز فِي القراءات الْقُرْآنية، وإنْ كانت الجهة فِي البيان ومراتب الكلام عَلَى غرار ما كُتب «الإعجاز البياني فِي ضوء القراءات الْقُرْآنية المتواترة»[57]؛

لاختلاف الحقائق، وتباين المفاهيم، فالقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي بالسبل المعروفة فِي كتب علوم الْقُرْآن، ولا يمكن أن نجزم أنّها الْقُرْآن نفسه؛ لأنّ هَذَا يقتضي وجود الزيادة والنقصان... فكم من قراءة زيد فيها حرف أو كلمة، وأخرى نقص مِنْهَا حرف أو أكثر.

فضلاً عَن ذَلِكَ أنّ بعض القراءات هي إمضاء من الرسول«2» إِلَى القارئ، فهي إذاً ليست بقرآن، ثم أنّ

DOI:10.18018/URUK/020-13/390-410

غياب السند المتصل إلَى الرسول«2» فِي أغلبها لهو دليل ناصع فِي المغايرة عَن الْقُرْآن؛ لأنّه قطعي الصدور، حفظ بعناية إلهية وتدبير رباني، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾**الحجر:9**

وثمة خصيصة لا يمكن أنْ نغفلها، وهي جهات التعارض فِي القراءات من لدن القرّاء أنفسهم، وإنكار بعض العلماء كالمبرد والفرّاء وغيرهما القراءات الَّتِي تخالف القواعد والأقيسة.

خطّأ المبرد قراءة حمزة:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ **النساء: 1**

بالجر بقوله:

«وهذا مما لا يجوز عندنا»[58].

وقال الزمخشري فيها: «وقراءة حمزة

«والأرحام» ليست بـ تِلْكَ القوية»[59].

وخطّأ المبرد قراءة «ثلثمائة سنين» بالإضافة بقوله:

«وهذا خطأ فِي الكلام غير جائز»[60].

أمّا الفرّاء فقد رمى قراءة حمزة:

﴿وَقَالَ الشَيطَانُ لَمَّا قُضِي الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ **إبراهيم: 22**

بخفض الياء بالوهم إذ قال:«ولعلها من وهم القُراء طبقة يحيى فإنه قلّ من سلم منهم من الوهم...»[61].

وغيرها الكثير.

فموقف النحاة من القراءات، ولا سيما البصريون والفرّاء – معروف[62].

فكيف نحكم فِي ضوء ما تقدم أنّ الْقُرْآن والقراءات حقيقة واحدة؟!

وإذا لم يثبت ذلك، وهو الصحيح، فكيف ندعي إعجازها، وسموّها فِي مدارج البيان؟ وبماذا نقنع أنفسنا إنْ كانت القراءة جارية عَلَى منوال لهجات العرب وألسنتهم فِي التعبير؟!

أو يكون غرض التسهيل عَلَى هذه الأمّة متواطئاً مَعَ فكرة الإعجاز الَّتِي تقتضي التحدي وتتطلب المعارضة؟!

من المقطوع به أنّ فيها جهات من البيان، ومجاري من أفتتان اللسان، ولكن لا يمكن أنْ تقوم دليلاً – يستند إلَى الإعجاز – عَلَى المدّعى، لأنّ فيها من المعاني المتقابلة والصور المتباينة ما يجعلها موطناً للإعراض، وذريعة فِي الرفض والإنكار.

وكان الأجدر بمن يروم البحث فِي أفق القراءات أنْ يتجنب الخوض فِي المفاهيم الَّتِي اقترنت بالْقُرْآن، وعملت عَلَى تأسيس مرتكزات عقدية ومبانٍ دينية، لها خطرها فِي تصحيح الرؤية الكونية وقيام أيديولوجيا حقه... وانْ يتوغلوا فِي تتبع الأساليب اللغوية، وملاحقة المباني الصرفية الَّتِي يقدمها ذَلِكَ الثراء الكمي من اللهجات فِي صناعة القراءة، وما يستتبع ذَلِكَ من حضور لوسائل البيان، ولكن من غير أن يستلزم ذَلِكَ استعارة المفاهيم البرّاقة لتكون واجهة ادعائية فِي إثارة الجمهور واستيقاظ مشاعرهم.

أنقل لكم هذه المقطوعة من التعبير، ليتضح للقارئ درجة التعسف والتطرف. قال أحد الباحثين: «الْقُرْآن الكريم معجز إذا قرئ بأيّ قراءة من القراءات العشر المتواترة، ومن هنا تتعدد المعجزات بتعدد تلك الوجوه. ولا ريب أنّ ذَلِكَ دليل ساطع عَلَى صدق محمد«2» فليس فِي مقدور أحد من البشر تأليف كلام عَلَى هذه الصفة مهما أوتي حظاً عظيماً فِي البلاغة والبيان»[63]

إذاً، لدينا عشر معجزات تؤكد صحة الدعوى، وتلجم المعاندين الحجة والدليل، وتذيقهم طعم اليقين.

ولكن ألم يسأل القائل نفسه: أهي عَلَى المستوى نفسه من الإعجاز أم تتفاوت من قراءة إلَى أخرى؟ فإن قال بالأوّل جرّه القول إلَى العبثية، وإنْ تبنى الثاني، فعلامَ هَذَا التعدد، إذا كان الغرض متحققاً بالأول؟!

إنّ هذه الفكرة تلزمنا القول: إنّ الْقُرْآن نزل عشر مرّات بتعدد تِلْكَ القراءات، وفي كل مرة ينزل يطلب من العرب

DOI:10.18018/URUK/020-13/390-410

الإتيان بمثله، ولما عجز العرب عَن ذلك، أيقن العرب أنّ هذه الكتب العشرة منزّلة من الله...

قال الكاتب ــ وهو يمثل لمدّعاه ــ فِي قوله تعالى:﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ رَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**التوبة:100**

قرئت: ﴿مِن تَحْتَهَا﴾[64].

وهذا إعلان واضح بزيادة كلمة عَلَى الأصل، يفضي إِلَى اختلاف النظم، وتغاير المعنى كما يقول: إنّه إذا ألحق «من» أفاد أنّ الأنهار مبتدأ جريانها من أسفل الجنات، وإذا لم يلحق «من» أفاد أنّ الأنهار جارية من جهة أسفلها[65].

ثم يقول:«فهذه الجنات عَلَى قراءة الجمهور تجري الأنهار تحتها، ولا يعلم مبتدأ جريها، ووفق قراءة ابن كثير ينضاف منظر جمالي جديد، وهو رؤية المؤمنين لمبتدأ جري الأنهار، فهي تنبع من تحتهم»[66].

إنّ زيادة «من» عنده أضفت منظراً جمالياً جديداً، لم يكن ليؤديه حذف «من»، وكأن المصنف هُوَ المنشئ للنص، وهو أعلم بمقاصده وغاياته. ولم يلتفت إِلَى أنّ هَذَا المنظر قد يكتسب جمالاً، لكنه نسبيٌ، فكيف يحصل الجزم بأنّ المؤمنين يخلهم منظر جريان الماء من تحت الجنات؟ وهل هذه الجنّة مشخصة محددة يمكن لأبصارنا أنْ تحيط بها علماً؟ أم إنّها جنة عرضها السموات والأرض من أفق تصوراتنا الدنيوية المحددة؟

إنّ الباحث ينظر إِلَى المشهد بحسٍ أدبي، وذوق فني مجرد بعيداً عَن العين والواقع، ولذلك هي تمثلت فِي قول الرسول«2»:«قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر عَلَى قلب بشر»[67].

وهذا المنحى هُوَ الأقرب لقراءة الجمهور بحذف «من»؛ لأنّ الَّذِي يزيد فِي المتعة ويكسب الرغبة، الغلو فِي البعد والإفراط فِي الحسن والجمال، وحذف الحرف يرفع الحدود ويزيل التشخص والقيود.

ثم أقول: إذا كان الإعجاز متحققاً بلا حرف، فكيف يكون معجزاً بوجود الحرف فِي الآن نفسه؟!

أوليس هَذَا من القول بالتناقض؟!

وفي ختام هَذَا المبحث أقول: لو كان من غرضنا ايعاب كل هذه الاتجاهات فِي التراث، لتوغلنا أكثر فِي البحث والتنقير، ودققنا أغزر فِي المتابعة والتقشير. ولكن هَذَا ما وقع بين أيدينا فعرضناه، وألحقنا به من النقد ما يمكن أنْ يصحح المسار ويوجه المنار.

الهوامش

[1]. يُنْظَرُ: التحرير والتنوير: 1/123-124.

[2]. 9.

[3]. الإعجاز الْقُرْآني: 224

[4]. الإعجاز الْقُرْآني: 252- 253.

[5]. من آيات الإعجاز العلمي فِي الْقُرْآن: 36.

[6]. الإعجاز العلمي فِي الْقُرْآن الكريم فِي ضمن سلسلة الإعجاز فِي الْقُرْآن الكريم. منشور فِي شبكة الانترنت.wata.cc

[7].الإعجاز العلمي فِي القران . منشور فِي شبكة الانترنت ar.m.wikipedia.org

[8].البيان في الاعجاز العلمي في القرآن : 37.

[9]. يُنْظَرُ: 58

[10]. يُنْظَرُ: معجزات الْقُرْآن: 152-153

[11]. يُنْظَرُ: السَّابِق: 154 وما بعدها

[12]. البيان فِي الإعجاز العلمي فِي الْقُرْآن: 112-113.

[13]. الإعجاز العلمي فِي الْقُرْآن الكريم: 214

[14]. 172.

[15]. 103.

[16]. 101.

[17]. مباحث فِي علوم الْقُرْآن: 336-337.

[18]. الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم: 12.

- أغلب ما ذكره الدكتور لا تتجاوز قراءات سيد قطب والرافعي. يُنْظَرُ: 67.55.

[19]. يُنْظَرُ: ثلاث رسائل فِي إعجاز الْقُرْآن: 66.

[20]. يُنْظَرُ: إعجاز الْقُرْآن والبلاغة النبوية: 142.

[21]. يُنْظَرُ: البيان فِي تفسير الْقُرْآن: 106-107.

[22]. يُنْظَرُ: السَّابِق: 110

[23]. يُنْظَرُ: السَّابِق: 110

[24]. إعجاز الْقُرْآن: 143.

DOI:10.18018/URUK/020-13/390-410

[25]. البيان في تفسير الْقُرْآن:110

[26].إعجاز الْقُرْآن: 270.

[27]. الإعجاز العددي: 253.

[28]. السَّابِق: 249.

[29]. يُنْظَرُ: السَّابِق: 51-53

[30]. السَّابِق: 97

[31]. يُنْظَرُ: المعجم المفهرس: 642.

[32]. من الإعجاز البلاغي والعددي 61-62.

[33]. يُنْظَرُ: إعجاز الرقم 19: 48-49.

[34]. يُنْظَرُ: الاعجاز العددي: 193.

[35]. يُنْظَرُ: المعجم المفهرس: 263.

[36]. يُنْظَرُ: السَّابِق: 163.

[37]. يُنْظَرُ: السَّابِق: 825-826

[38]. يُنْظَرُ: السَّابِق: 244-246.

[39]. يُنْظَرُ: السَّابِق: 873-875.

[40]. الإعجاز العددي: 197

[41]. يُنْظَرُ: السَّابِق: 218.

[42]. ينظر: إعجاز الرقم 19: 113-114.

[43]. يُنْظَرُ: إعجاز الرقم:19: 112.

[44]. يُنْظَرُ: السَّابِق: 10

[45]. يُنْظَرُ السَّابِق: 10

[46]. يُنْظَرُ: إعجاز رسم الْقُرْآن وإعجاز التلاوة: 11

[47]. يُنْظَرُ: السَّابِق: 30

[48]. يُنْظَرُ: السَّابِق: 59

[49]. مقدمة كتاب إعجاز رسم الْقُرْآن:5

[50]. يُنْظَرُ السَّابِق: 5

[51]. يُنْظَرُ: السَّابِق: 4-5

[52]. يُنْظَرُ: مجلة الدراسات الْقُرْآنية: إعجاز الرسم الْقُرْآني: 403-404

[53]. يُنْظَرُ: الازيز من كلام سيد عبدالعزيز 87-88 نقلاً عَن إعجاز الرسم الْقُرْآني: 435.

[54]. كشف العمى والرين عَن ناظري مصحف ذي النورين 4 نقلاً عَن إعجاز الرسم 437.

[55]. إيقاظ الاعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الامام 36.

[56]. إعجاز الرسم الْقُرْآني بين المثبتين والنافين: 434-439

1. مؤلفه الدكتور احمد محمد الخراط.

[58]. الكامل: 344/2.

[59]. المفصل: 169.

[60]. المقتضب: 171/2.

[61]. معاني الْقُرْآن: 75/2

[62]. من أراد التوسع فليرجع إِلَى كتاب الشواهد والاستشهاد في النحو: 242-260

[63]. الإعجاز البياني في ضوء القراءات الْقُرْآنية المتواترة: 19

[64]. السَّابِق: 128

[65]. السابق: 128

[66]. الإعجاز البياني في ضوء القراءات الْقُرْآنية المتواترة: 128

[67]. عمدة القارئ: 240/25 ح 7498.

المصادر والمراجع

- القران الكريم
- إرهاصات الإعجاز العددي في القرآن الكريم، بسّام جرّار، دار نون – رام الله، ط1، 1998م.
- الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة، الدكتور أحمد محمد الخراط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة 1426هـ.
- إعجاز الرسم القرآني بين المثبتين والنافين، د. نمشة بنت عبداللهالطوالة، مجلة الدراسات القرآنية – العدد 10، 1433 هـ
- إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، محمد شملول، دار السلام للطباعة والنشر، ط1، 2006م.
- إعجاز الرقم 19 في القرآن الكريم، بسّام نهاد جرّار، المؤسسة الإسلامية – بيروت، ط3، 2004م.
- الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية. د.عبد الحميد هنداوي، دار عباد الرحمن ـــــــ القاهرة.ط1، 2013م.
- الإعجاز العلمي بين الظن والتحقيق في ضمن بحوث المؤتمر الأوّل للإعجاز القرآني المعقود بمدينة السلام بغداد، 1990م، الدكتور عبد الجليل عبد الرحيم.
- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في ضمن سلسلة الإعجاز في القرآن الكريم، الدكتور راغب السرجاني، منشور في شبكة التواصل الاجتماعي wata.cc .
- الإعجاز العلمي في القرآن، الدكتور لبيب بيضون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت ط1، 2005 م.
- إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني،

DOI:10.18018/URUK/020-13/390-410

تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف . القاهرة. ط7.

- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. مصطفى صادق الرافعي، دار الأرقم بن أبي الأرقم.
- البيان في الإعجاز العلمي في القرآن، الدكتور لطيف أحمد عبوّد، دار الإصلاح – دمشق، 2008م.
- البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الخوئي– مطبعة العمال المركزية – بغداد، 1989م.
- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، مؤسسة التاريخ – بيروت، ط1، 2000م.
- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، مكتبة القرآن.
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطّابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد خلف الله أحمد والدكتور محمد زغلول سلام، دار المعارف –القاهرة ، ط5.
- الشَّواهد والاستشهاد في النحو، عبد الجبار علوان، مطبعة الزهراء – بغداد، ط1، 1978م.
- الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس المُبرّد، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط2، 2012م.
- مباحث في علوم القرآن، الدكتور صبحي الصالح، دار العلم للملايين – بيروت، ط7، 1972م.
- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار. دار السرور.
- معجزات القرآن، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف – القاهرة،
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مكتب نويد إسلام – قم. ط1، 1425هـ
- المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم الزمخشري، تحقيق ودراسة الدكتور خالد إسماعيل حسان، مراجعه الدكتور رمضان عبد التواب. مكتبة الآداب – القاهرة. ط2، 2009م.
- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد «285هـ» تح محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب.
- من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، الدكتور زغلول النجار، مكتبة الشروق الدولية ـــ القاهرة. ط13، 2008م.
- من الإعجاز البلاغي والعددي للقرآن الكريم، الدكتور حميد النجدي، منشورات المكتبة الحيدرية– ط1، 2009 م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، اعتنى بتصحيحه الشيخ أمين سليم الكردي، دار إحياء التراث العربي – بيروت. ط2.

Abstract

The miracle is a contractual requirement based on three personalities: the challenge, the violation of the custom, and the safety of the opposition; it cannot be read in the light of the assessments or its proximity in the light of taste, so as not to exceed the framework of the concept and arrogance in the fields we count from the miracles and is outside its scope. Of the hypotheses that distance us from the science and knowledge fields, including the multiple trends in the abuse of miracles.

DOI:10.18018/URUK/020-13/390-410